كائن : ملعبه السياسة ..

وخوفًا من تهديد رسمية بادر بالاستئذان من «كُلّه» مبديًا اعتقاده بعدم جدوى الاختباء أكثر من ذلك،

وفى فيلا الزيتون فوجئ الجميع بظهوره ومعهم «كُلّه» الذى سبقه إلى هناك.. تحلقوا حوله ولم ينفضوا إلا بعد وصول فوزية التى شهقت من الفرحة فتلقفها بين أحضانه.

قال لها: «لا تسألينى: أين كنت.؟»

واكتفى بهذا القول المقتضب، وأضافه إلى مجمل حالاته الغامضة.

وبعد أيام لاحظ أن «كُلّه» ليس كعادته فى النشاط والمداعبة فتوجس خوفًا أن تكون رسمية قد أحاطته علمًا بفعلته الشنعاء، وبدا له أن «كُلّه» يستعد لمفاتحته فقرر أن يبدأ هو بالهجوم كخير وسيله للدفاع.

ناداه.. أقبل إليه مهمومًا.. طلب منه أن يغلق الباب خلفه. ثم طلب منه الجلوس.. وما إن جلس حتى منحه ابتسامة واسعة:

ـ «قلت لى من قبل أن فوزية جدعة وتحبنى، كيف عرفت ذلك؟»

ـ «إنه أمر لا يحتاج إلى بحث..»

ـ «أم أنك اختبرتها بنفسك؟»

ـ «وكيف أختبرها بنفسى؟»

ـ «أن تكون قد حاولت استمالتها..»

ـ «وهل هذا معقول؟..أخون رجلى»

ـ «ليس على سبيل الخيانة.. ولكن من قبيل الاختبار..»

ـ «أول مره أسمع عن اختبار من هذا النوع..»

ـ «لا يا أستاذ.. هذا الاختبار مهم ومعمول به، وقد ظننتك قمت بـه مـع فوزيـة.. فـما كان منى إلا أن قمت به مع رسمية، وبالتالى فأنا أقول لك إنها أيضًا بنت جدعـة وتحبـك و ياليتك تقنعها أن تقبل العمل فى محل الكوافير عندى..»

لم يلتفت «كُلّه» إلى كلمات رجله الأخيرة.. والتفت إليه بحزم:

ـ «أفهم من هذا أنك عرضت على زوجتى أن تنام معها؟»

تلجلج السيد النحال وأسرع بارتداء ثياب الحزم والجدية:

ـ «ليس بهذا الشكل الفج.. هذه الأشياء يعوزها التلميح الذى قـد لا تفهمـه المـرأة إلا إذا كانت راغبة»

ـ ظل كلّة على حزمه وطالعه بوجه جامد:

ـ «ولو افترضنا يا معلم أنها كانت راغبة، فهل كنت ستنام معها؟..»

سارع السيد النحال بامتشاق سيف الاحتجاج:

ـ «أنا؟.. أنا أنام معها؟.. لماذا؟.. إلى هذا الحد تسىء الظن بى؟ وأنا ما فعلت ذلـك إلا لخدمتك؟»

ـ «خدمتى؟ أى خدمة يا معلم؟..»

ومع هذا السؤال الاستهجانى القصير انطلق السـيد النحـال يشرح لرجلـه مـدى مـا انشغل به حول حالته مع رسمية.. وكيف تأمل عدم إنجابها لطفل بعد خمس سنوات مـن الزواج، وكيف تكون المرأة فى هذه الحالة مستعدة أن تشترى أمومتها على حساب زيجتهـا، وقد تكون رسمية من هذا النوع من النساء.. ثم اعـترف بصـوت كلـه شـجن أنـه أخطـأ عندما توهم أنها من الممكن أن تكون كذلك، ثم أوضح له أنه كان يمكنه الاحتفـاظ بهـذا الأمر ولا يفاتحه به، لكنه لم يفعل ذلك وطرح عليه ما حدث بكل حسن نية..

ظل «كُلّه» صامتًا وهو يفكر فى كل ما سمعه.. وبادلـه السـيد النحـال الصـمت وهـو يلعن غباءه للمرة الثانية. أما كلة فقد كان يتحدث داخل نفسه:

«كيف أثق أنه صادق؟ لابد أن أتقصى الأمر عند رسمية، ووالله يا بن النحال لأهـدمن

الدنيا على رأسك إذا وجدتك خائنًا»

وقبل أن ينصرف قال له:

ـ «سآخذ إجازة لمدة أسبوع.. فاصرف لى خمسين جنيهًا»

وبصوت حنون سأله السيد:

ـ «مابك يا كلة؟.. أراك مهمومًا..»

ـ «لأنك لم تسألنى عن تفاصيل ما حدث معى فى مكتب الرئاسة، أنت أبعدت نفسك عن القلق وصدرته لى، أنا أعيش فى رعب..»

ـ «أمن أجل هذا تضع كل هذه التكشيرة على وجهك؟.. يا رجل..»

ثم لعن غباءه للمرة الثالثة.

* * *

قال « كُلّه» لرسمية بابتسامة مراوغة:

ـ «كان يجب أن أعرف منك نتيجة الامتحان»

فسألته: «أى امتحان؟»

أجابها: «الذى نجحت فيه»

سألته مداعبة: «هل أنا تلميذة؟... أم أنك تتعاطى أشياء ثقيلة هذه الأيام؟»

ـ «كنت تلميذه فى الامتحان الذى عقده لك المعلم السيد هنا فى المنزل»

فهمت رسمية للتو أن السيد النحال بنى جدارًا حائلا بينها وبين محاولة تشويه صورته أمام زوجها فى أىّ وقت، وأنه سبقها بحديث عن فعلته الشنعاء ولكن بمذاق يخفف من حقارته، ووظّف الموقف لصالحه، ومن ثم لصالحها..

«إنه فى النهاية رجل يحرك الشيطان، لا يحركه الشيطان..»

سارعت فوافقته على صحة ما أسماه صاحبه امتحانًا دون أن يبدو عليها أثر للانزعاج، لكنها قررت أن تدخل بزوجها فى شأن آخر:

ـ «على كل حال كانت هذه فكرة عبيطة لا تليق بمقداره.. ولكن ما يهمنى هو أن نتصرف فى هذه المصيبة التى جرّنا إليها.. فما قلته لى عن الحصار الذى وضعوك فيه بمكتب

الرئاسة يؤكد أنهم لن يتركوك وسيقتلعوك من منزلك فى أىّ وقت»

قال لها مطمئنًا:

ـ «اطمئنى.. سنحصل على مسكن آخر، أعطانى المعلم السيد خمسين جنيهًا اليوم»

سألته مندهشة: «خمسين جنيهًا مرة واحدة.. هل وافقك على الانتقال لمسكن جديد؟»

أجابها: «لم أخبره بذلك.. وسيظل سرًّا لن أطلعه عليه»

تنهدت فى استسلام، وقالت:

ـ «لا بأس.. وإن كان من المؤكد أنهم إذا أرادوك سيعثرون عليك، ما أقصده هو أن تحمى نفسك من الآن.. الرجل حشمت بركات هذا سجن كل زملائك فى دقيقة حماية لصديقه. حلمى عبد الباقى، ولهذا فإن حشمت بركات يجب أن يعلم أنك لا تشارك النحال مؤامراته، وأنك مجرد بوسطجى تحمل له الخطابات بما فيها خطابه للرئيس حتى إذا وقعت الواقعة يمكنك أن تتخذه شاهدًا وحاميًا»

أدهشته الفكرة، وأبدى إعجابه بها واعترف لها بندمه على ما أقدم عليه من حمل رسالة النحال إلى مكتب الرئاسة، وأنه من اللائق فعلًا إطلاع حشمت بركات على موقفه، وسوف يكون عدم القبض عليه مع باقى الشلة شيئًا فى صالحه، صحيح أنهم قضوا فى الحجز ليلة واحدة ووجدوا أنفسهم يوقعون محضرًا بعدم التعرض لفايز فودة ـ وليس لحلمى عبد الباقى ـ لكنهم أدركوا مدى ما يمكن أن يقوم به حشمت بركات هذا من تسوية للأمور أو قلبٍ لها ..

ـ «أنا أعرف منزله.. سأنتظره هناك.. لن أقابله فى المكتب حتى لا يرانى أحد»

* * *

وبعدما استمع حشمت بركات لكلّ مخاوف «كُلّه» ذلك الولد الذى لا يرتاح إلى شكله وتكوينه وطريقته الناعسة فى التحدث تفحصه بارتياب:

ـ «وكم أعطاك السيد النحال حتى تؤدى هذه التمثيلية أمامى؟»

خبط كُلّه براحته على صدره: «والله ياباشا ما هذه بتمثيلية.. وحتى تصدقنى يمكننى أن أصف لك مكتب السكرتارية فى الرئاسة»

وبنظرة ارتياب سأله حشمت بركات مرة أخرى:

ـ «أتريدنى أن أصدق أنك سلمت خطابًا من معلمك إلى مكتب السيد الرئيس»

ـ «يا فندم أنا لا أكذب، أنا ما جئت إلا لأحتمى بك، معلمى السيد النحال ورطنى»

اعتدل حشمت فى وقفته أمام منزله، وقال لكلة مسرعًا:

ـ «اسبقنى على مكتبى.. أنت تعرفه»

ـ «أعذرنى يا باشا.. أنا ما جئتك هنا إلا هربًا من مقابلة المكتب حتى لا يرانى أحد ويبلغ المعلم السيد»

أيقن حشمت بركات أن محدثه لا يكذب، فازداد اعتداله وهتف:

ـ «يا ولاد الكاااالب.. جمال عبد الناصر مرة واحدة.. الله يخرب بيوتكم»

ولم يكن «كُلّه» بحاجة إلى قراءة الهلع الذى وثب فجأة فاحتل ملامح هذا الرجل الكبير، ولا يدرى لم راق له أن يزيده هلعًا باستخدام بعض الأسرار التى كان النحال يرويها له فى منزله:

ـ «يا فندم المعلم السيد ليس بالرجل السهل، لقد كتب كلامًا كثيرًا فى الخطاب الثقيل الذى أرسله للرئيس»

ـ «هل تعرف ما الذى كتبه؟»

ـ «كتب عن رجل محامٍ خطفوا زوجته وعذبوه..»

ـ «من هؤلاء الذين خطفوا زوجته؟»

ـ «رجال عبد الحكيم عامر، وقال فى خطابه للرئيس أن حلمى بك خطف خميسة وهرب»

ـ «أنت متأكد يا ولد.. أين السيد النحال الآن؟»

ـ «خرج من عندى أمس..»

ـ «هل كان مختفيًا عندك ؟»

ـ «أجل يا فندم»

ـ «لماذا؟»

ـ «كان يدبر لقتل حلمى بك، لكنه لم يعثر عليه، ولم يعثر على خميسة فجن جنونه، وقال سأهدم الدنيا عليهم، وذكر فى خطابه أشياء قلت له لا تكتبها لكنه رفض»

ـ «أى أشياء..؟»

ـ «السهرات.. والحشيش.. والنساء»

ـ «نساء.. أى نساء؟»

ـ «نساء محل الكوافير.. لا أدرى ما الذى يقصده بذلك؟»

أطرق حشمت بركات وهو يفكر:

ـ «المعلومات صحيحة.. حلمى ترك شقته.. ونجلاء أيضًا، وبهيرة كذلك.. إذن، فقد كنت أصادق مجرمًا.. فالولد ما زال يحاول النيل من حلمى.. ولكن ما الذى يقصده هذا الكلب من إرسال خطاب للرئيس؟»

* * *

أسرع حشمت بركات إلى أخيه أشرف وهو شارد الفكر وراح يبحث لنفسه عن مدخل للحديث.. فكيف يعرض عليه هذا الأمر المخجل حتى يتمكن من حجب هذا الخطاب ومنع وصوله إلى الرئيس؟.. إن ذلك سيستدعى ذكر كل ما جاء فى الخطاب.. والكلام المكتوب سوف يدينه وأقل ما سوف يدان به أنه يثرثر ويفشى أسرارًا كان يخصه بها أشرف. فقصة زوجة الكاتب الشهير مع أحد رجال المشير ما زالت منعقدة فى سماء السلطة ولم تصل بعد إلى العامة.. فكيف عرفها النحال ليكتبها؟..

بدأ فرسم له صورة لولد ريفى يلعب بالبيضة والحجر.. ولد لا يمكن للمرء أن يستمر ساعة كاملة فى احتقاره فقبل مرور هذه الساعة يمكن لهذا الاحتقار أن ينقلب إلى إعجاب.. ولد يمكنه أن يقرأ ما تفكر فيه.. ثم يمنحك الوسيلة السهلة لقراءته.. ومع ذلك، فهو عميق القرار لا يمكن للمرء أن يصل إلى قاعه إلا بحفارات لم يخترعها علم النفس حتى الآن.. ولد يتحول التراب إلى تبر بين يديه.. يكسب من كل شىء.. ويكسب كل شىء.. يتحالف مع الشيطان.. ويجيد استخدام رجاله كلٌّ فى موقعه.. اختار كل رجاله من المجرمين الموغلين فى الإجرام.. يعيد توظيفهم فى نوع من الإجرام الأنيق.. هو

نفسه أنيق من أصل وضيع.. وضع سدًا منيعًا بينه وبين ماضيه وماضى أسرته فنسيها تمامًا.. مزاجه عال فى حب المأكل والملبس والمكيفات.. يغدق على من حوله بكرم ظاهر، ثم يكتشف المكرّم أنه وقع فى مأزق إطعام الفم مقابل استحياء العين، ومع ذلك يستمر فى نيل هذا الكرم..

تذوق أشرف بركات طعم شفتيه بحركة آلية، وهتف بصوت عميق:

ـ «أنت تصف لى شخصية رجل سياسى نال تعليمه العالى فى جامعة عالية كجامعة هارفارد يا حشمت.. ما الشهادة التى يحملها هذا الرجل؟»

ـ «لن تصدق.. دبلوم صنايع.. لكنه قارئ ومثقف، ويكتب الشعر الذى يحتفظ به لنفسه»

ـ «يا خسارة.. لو كان جامعيًّا لاستفدنا به.. كائن بمثل هذه المواصفات لا ملعب له سوى ملعب السياسة.. من المؤكد أنه نفس الشخص الذى يمدك بأصناف المحبة»

ـ «هو نفسه..»

ـ «لكنك حريص طبعًا ألا يعلم أنها لى..»

ـ «لم يعرف منى بالطبع.. لكنه لا يخفى عليه أىّ شىء.. فكلما أتحفنى بقطعة منتقاة من صنف جديد يقول لى مداعبًا»: «هذه ستعجب البشوات الكبار.. فأفهم أنه يقصدك..»

ـ «هذا ولد خطير.. لكنه من الشخصيات التى تعجبنى.. احرص عليه يا حشمت.. واحترس منه..»

ـ «من أجل هذا جئتك.. لقد وضعنا هذا الكلب فى مأزق»

وأمام كلمة «وضعنا» اعتدل أشرف بركات فى جلسته، وعرف أنه كان يتلقى تقريرًا مدهشًا عن شخص يتسم بالخطورة.. لأن هذه الخطورة قد طالتهما معًا، فهتف بأخيه الأكبر:

ـ «أى مأزق تقصده؟»

وبدأ حشمت فى سرد قصص عديدة بدأها بأرض الزيتون وصاحبتيها حكمت وبشاير، ثم ما اكتشفه من دس سم الزرنيخ لهما.. ثم بقصة السيد وخميسة.. ثم السيد

وفوزية.. وحلمى عبد الباقى وخميسة.. ثم تحرش السيد ورجاله بحلمى عبد الباقى.. ثم بخطاب خطير كتبه النحال إلى الرئيس.. ثم ما جاء بداخل الخطاب من معلومات قد تفتح النار عليهما..

واشتعل الغليون عدة مرات مواكبًا لاشتعال ذائقة الاستماع والتلقى عند أشرف بركات الذى همهم استغرابًا وهو يعرف لأول مرة أن حلمى عبد الباقى يخون بهيرة.. ثم زام كالأسد عندما وصل حشمت بحكايته إلى نقطة الخطاب الذى وصل إلى مكتب الرئيس.. ثم بدا عليه الضيق وهو يستمع إلى ما كتبه «هذا الولد « إلى الرئيس عن حكاية رجل المشير وزوجة الكاتب..

لاذ بعد ذلك بصمت طويل.. ثم هز رأسه ممعنًا النظر فى عين أخيه:

ـ «لكنك يا حشمت تلقى جزافًا بأسرار تسمعها منى.. وكنت أظن أننى ألقى بها فى جب عميق..»

ثم صمت قليلًا، وتوجه إليه بوجه صارم:

ـ «وما دمت تلقى هكذا بأسرارنا وتمنحها مجانًا لمجالسيك، فما أدرانى أن تكون حكاية مندوب اليونسكو قد وصلت هى الأخرى إليهم كقصة زوجة محمد كامل؟»

ـ «لا.. لا يا أشرف.. هل هذا يجوز.. ليس بمعقول طبعًا»

وكان حشمت صادقًا فى قوله، فهو لم ولن يقص لأحد حكاية المهمة التى كلفه بها أشرف باستقبال موظف أمريكى من أصل إفريقى يتحدث العربية ويعمل بوكالة الفاو التابعة لليونسكو..

فالوكالة تبرعت بصفقة أغذية هدية للجمعيات التعاونية.. وستتولى مؤسسة النقل التى يديرها حشمت توزيعها على هذه الجمعيات.. وسوف يتولى حشمت مقابلة المندوب وإحضاره إلى أحد رجالات الحكومة لتلقى خطاب شكر إلى الوكالة من الحكومة المصرية لهذه المبادرة الطيبة.. وهذا ما قام به حشمت بكل دقة وأوصل المندوب إلى مكتب أخيه أشرف.. لكنه احتفظ لنفسه بعدم قناعته بكل هذه المنحنيات التى كان من الممكن أن تتفاداها مركبة بريئة فى طريق قويم.. ذلك أن هذا المندوب الأسود ظهر عدة مرات فى

مكتب أخيه.. ثم ظهر فى حديقة قصره.. أيضًا عدة مرات..

ـ «إذن، فالمركبة ليست بريئة.. والطريق ليس قويًا.. وماذا يعنى هذا.. هل أشرف على اتصال بالأمريكان؟..»

وانشغل كلٌّ منهما عن الآخر بالصمت.. أشرف يحاول التعرف على ما سوف يقوله للرئيس حول هذا الخطاب المزعج لعلمه أن جمال عبد الناصر يقرأ كل كلمة فى كل سطر بأى ورقة تعرض عليه، وحشمت يتخيل مكانه الجديد فيما لو أطيح به عقابًا له، واقشعر بدنه وهو يتخيل نفسه بلا مكان.. إذن، فسوف يصبح بلا مكانة.. فهو ما علا شأنه إلا بارتفاع المياه فى جدوله الصغير امتلاء من بحر أخيه الذى يحدثه الآن:

ـ «اسمع.. لا تتصل بهذا الولد.. ركز على موضوع الزرنيخ وابحث عن مسالبه الأخرى.. لن نتمكن منه إلا بحصاره.. ومن ناحيتى سوف ألحق بسامى شرف قبل أن يعرض الخطاب فى بوستة جمال.. وسأعرض أن أقوم بتسوية الأمر بنفسى بعيدًا عن الرئيس.. وإلا فسوف نصطدم بمتاعب فى الطريق.. اذهب لترتاح.. احتفظ بهدوء أعصابك حتى تخرج أفكارك سليمة.. تصبح على خير»